

ألفاظ الماء في الشعر العباسي (المطر ... السحاب)

أ.م.د. نهلة محمد حسن
السيد علي غانم قلحي
كلية التربية - جامعة البصرة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وعلى آله
الطيبين الطاهرين .

وبعد .

ألفاظ الماء في الشعر العباسي ظاهرة بارزة ، غير أنها لم تجد العناية اللازمة من قبل الدارسين
المحدثين في تناولها ، ومن هذا المنطلق بدأ البحث في تناول هذه الألفاظ حتى يتبين للقارئ ما لهذه
الألفاظ من أهمية في شعر شعراء العصر العباسي .

الماء سر الحياة ، وتناوله في الشعر يزيد من عذوبته وحيويته ، ويستطيع الشاعر من خلاله أن
يعبر عما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس تجيش بها نفسه وتراها عينه ويخفق لها قلبه ...

وقد تناول هذا البحث (ألفاظ الماء في الشعر العباسي - المطر ... السحاب ...) ، واستطعت
أن أحصي للمطر مجموعة مفردات منها : الغيث ، القطر ، الشؤبوب ، الطل ، الرذاذ ، الندى ، العهد ،
الودق ، الحيا ، الرهمة ، الهطل ، الهتن ، الوابل ، الديمة ، الجود ، الوسمي ، الولي ، الوكف ... ،
وللسحاب مجموعة مفردات منها : الغمام ، السارية ، المزن ، العارض ، الرياب ، الغادية ، رائحة ، الركام
، الدجن ، وطفاء

وقد منّلت لكل مفردةٍ ٍ من هذه المفردات بأكثر من بمثال حتى يتبين معناها (من القرآن
والشعر) مع تقديم لكل من المطر والسحاب ...

هذا وإن الشعر في كل العصور اشتمل على هذه الألفاظ وخاصةً العباسي منه كونه أغزرها شعراً
وأكثرها شعراءً (من حيث الكم والكيف) .

المطر ومفرداته :

المطر هو الماء المنسكب من السحاب ، وجمعه أمطارٌ ^(١) ، هو الماء الذي يحمله الله في السحاب ويسوقه إلى حيث يشاء ^(٢) ، والمطر علمياً هو " بخار يتصاعد من الأرض إلى طبقات الجو فيتكاثف وينزل على شكل قطرات " ^(٣) .

وقد وردت لفظة (المطر) في القرآن الكريم دليل حجة وبرهان لمن يتدبر الآيات التي ذكر فيها ، فالمطر من الظواهر المحسوسة التي يحرص الناس على متابعتها لحاجتهم إليها. من ذلك قوله تعالى : **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾** ^(٤) ، وقوله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾** ^(٥)

وقد تناول شعراء العصر العباسي ظاهرة (المطر) ووظفوها في شعرهم توظيفاً مناسباً لمقتضى الحال ، وهذا ينم عن دلالة ومعرفة تامة بها، مما يظهر المستوى الذي وصل إليه العرب في ذلك الوقت ولاسيما علم الأنواء والفلك . ومن ذلك قول أبو تمام :

مطرٌ يذوب الصحو منه وبعده صحوٌ يكاد من الغضارة يطرُ ^(٦)

ومن مفردات (المطر) التي أستعملها شعراء العصر العباسي :

١ - الغيث :

هو المطر ؛ والكلاء ؛ وقيل الأصل المطر ، ثم سمي ما ينبت به غيثاً ^(٧) ، وقيل الغيث " الحيا النازل من السماء ، ويقال : جادنا الغيث وهذه ارض مغيثة ومغيوثة ، وغثنا ، أي : أصابنا الغيث " ^(٨) ، والغيث هو المطر الذي يعقب المحل أو عند الحاجة إليه ^(٩) .

وعبر القرآن عن الماء النازل من السماء بلفظة (الغيث) وذلك في قوله تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** ^(١٠) ، وقوله تعالى : **﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾** ^(١١) .

وقال أبو تمام يرثي محمد بن حميد الطائي :

سقى الغيث غيثاً وارت الأرض شخصه وان لم يكن فيه سحاب ولا قطر ^(١٢)

وقال البحتري يمدح محمد بن الأشعث :

غيثٌ أذاب البرق شحمه مزنه فالريح تنظم فيه حب الجوهر ^(١٣)

وقال ابن الرومي موظفاً الغيث في وصف الطبيعة :

لهوت عن وصف الطلول الدارسه

بروضة عذراء غير عانسه

جادت لها كل سماء راجسه

رائحة بالغيث أو مغالسه
خضراء ما فيها خلاة يابسه (١٤)

٢ - القَطْرُ :

هو " المطر وما يقطر من الماء وغيره ، واحدته قطرة والجمع قطار " (١٥) .
من ذلك قول أبي تمام يفخر بقومه:

جری حاتم في حلبةٍ منه لو جرى
فتىّ ذخر الدنيا أناس ولم يزل
وقال البحتري:

كرمت فكان القطر أدنى مسافة
وأضيق باعاً من نذاك وأقصراً (١٧)

٣ - الشؤبُوب :

هو المطر الذي يأتي في دفعات (١٨) ، وهو " حدة المطر وحدة كل شيء شؤبوبة وهو غير دائم ولا واسع " (١٩) ، ومنه قول الإمام علي (عليه السلام) في خطبة الأشباح في صفة الأرض ودحوها على الماء : "... حتى إذا تمخضت لجة المزن فيه والتمتع برقه في كفه ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه أرسله سحاً متداركاً قد أسف هيدبه تمرية الجنوب درر اهاضييه ودفع شأبيبه. فلما ألفت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت به من العبء المحمول عليها أخرج به حوامد الأرض النبات " (٢٠) ومعنى قوله (عليه السلام) ، دفع شأبيبه ، أراد به " الدفعات من المطر المنزلة بشدة وقوة " (٢١) . ومن ذلك قول البحتري :

أن أبا جعفر أطل يدي
سرت يدها بكل سارية
بنائل من نداء موهوب
من الندى ثره الشأبيب (٢٢)

٤ - الطَّل :

هو المطر الخفيف الذي ينزل من السماء في الصحو (٢٣) ، وهو " المطر الضعيف أو أخف من المطر وأضعفه أو الندى أو فوقه دون المطر والجمع طلال " (٢٤) ، وقيل اضعف المطر إنما سمي به لأنه يحسن الأرض (٢٥) . قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٦) .

ومنه قول ابن المعتز :

وروضة بات طل الغيث ينسجها
بيكي عليها بكاء الصب فارقه
حتى إذا أنجمت أضحى يدبجها
إلف فيضاحكها طورا ويبهجها (٢٧)

٥ - الرذاذ :

هو المطر الضعيف الساكن الصغار القطر الذي يكون بعد الطل (٢٨) ، قال الثعالبي عن الأصمعي : " أخف المطر وأضعفه الطل ثم الرذاذ أقوى منه " (٢٩) . قال أبو تمام راثياً :

ولأعقب النجم المرذ بديمة ولعاد ذاك الطل جوداً وابلاً (٣٠)

وقال ابن الرومي:

فارجع إليهم واتخذ منهم رداءً ففيهم للأديب اتخاذ
واسالهم تمطرك أيديهم عرفا خلال الويل منه الرذاذ (٣١)

٦ - الندى :

هو ما سقط بالليل... وندى الخير : هو المعروف... ويُقال : الندى ندى النهار ، والسدى ندى الليل (٣٢) ، وهو " بخار الماء يتكاثف في طبقات الجو البارد أثناء الليل ويسقط على الأرض قطرات صغيرة والجمع أنداء وأندية " (٣٣) . قال البحتري في وصف الربيع :

يفتقها برد الندى فكأنه يبيت حديثاً كان أمس مكتماً (٣٤)

وقال ابن الرومي:

وظلت عيون النور تخضل بالندى كما اغرورقت على الشجي لتدمعا (٣٥)

٧ - العهد :

وهو أول المطر ، وقيل كل مطر بعد مطر ، وجمعها عهادٌ وعهود (٣٦) ، وقيل العهاد من الوسمي وأوائل الأمطار يكون ذخراً في الأرض ، تضرب لها العروق وتبسط الأرض بالخضرة (٣٧) ، قال أبو تمام يمدح أبا عبد الله أحمد بن أبي داود ويعتذر إليه:

سقى عهد الحمى سبل العهاد وروض حاضر منه وباد (٣٨)

وقال البحتري:

سقى دار ليلي حيث حلت رسومها عهاد من الوسم غيومها (٣٩)

٨ - الودق :

هو " المطر ، لأنه يدق ، أي يجيء من السماء " (٤٠) ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ (٤١) .

قال أبو تمام:

سقى الحبيس محبوساً ببرزخه من السمي كفيت الودق يطرد (٤٢)

وقال الصنوبري في الرياض :

أما الرياض فعشقها عشق لم يبق في غيرها طرق
وتلألت أحداق نرجسه لما جلا أحداقه الودق (٤٣)

٩ - الحيا :

هو " المطر والخصب " (٤٤) ، وسمي حياً لان به حياة الأرض (٤٥) ، ومنه قول أبي تمام يمدح مالك بن طوق :

إذ في ديار ربيعة المطر الحيا وعلى نصيين الطريق الأعظم (٤٦)
وقال ابن الرومي هاجيا:

ألا لا سقى الله الحيا شجراتكم إذا ما سماء الله صاب هموعها (٤٧)
١٠ - الرَّهْمَةُ بِأَلْفِ هَيْمَةٍ :

" الرَّهْمَةُ بالكسر : المطر الضعيف الدائم الصغير القطر ، وهي أشد وقعاً من الديمة وأسرع ذهاباً " (٤٨) ، ومنه قول أبي تمام في مقدمة مدح بها أحمد بن عبد الكريم الطائي :

يا دارُ عليك ارهام الندى واهتز روضك في الثرى فترادا (٤٩)
وقال ابن المعتز:

خلع الرهام على الرى ديباجة نسجت بغير أنامل الأتراب (٥٠)
١١ - الهطل :

هو المطر المتتابع المتفرق العظيم القطر ، وهو مطرٌ دائم مع سكون وضعف (٥١) ، قال أبو تمام يمدح المعتصم :

صلى الإله على العباس وانجست على ثرى حُلَّة الوكافة الهُطل (٥٢)
وقال البحترى مادحا:

وتلك سحابات مررن وقد ترى تفاوت ما بين الرذاذ إلى الهطل (٥٣)
١٢ - الهتنُ :

هو المطر فوق الهطل ، وقيل الهتان الضعيف الدائم ، ومطر هتون هطول ، ومنه التهتان هو مطر ساعة ، يفتر ثم يعود (٥٤) . قال أبو تمام :

وسابح هطل التعداء هتان على الجراء أمين غير خوان (٥٥)
وقال البحترى مادحاً :

الفاعلون إذا لذنا بظلمهم ما يفعل الغيث في شؤبويه الهتن (٥٦)
وقال ابن المعتز :

ورب نارٍ أبثُ الجود يوقدها في ليلة من جمادى ذات تهتان (٥٧)
١٣ - الوابل :

الويل والوابل المطر الشديد الفخم القطر ، من وبلت السماء تبل وبللاً : أنتت بوابل (٥٨) ، وقال أبو حنيفة الدينوري : " الويل فوق الجود وأنشد أن ديموا جاد وان جادوا ويل " (٥٩) ، قال تعالى : ﴿ كَالَّذِي

يُنْفِقُ مَالَهُ رِيَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ
صَلْدًا ﴿٦٠﴾ ، وأراد ب (وابل) " مطر شديد " (٦١) .

قال أبو تمام يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة :

فجاد دمشقاً كلها جود أهلها بأنفسهم عند الكريهة والبذل
فلم تبق من أرض البقاعين بقعةً وجاد قرى الجولان بالمسبل الويل (٦٢)
وقال البحتري في مقدمة قصيدته الغزلية :
في رياض قد استعار لها الويد ل رداء من ابتسام سعاد
وسعادُ غراء فرعاء يُسَق لك عقاراً من الثنايا البراد (٦٣)

١٤ - الدِّيمَةُ :

" المطر الذي يدوم دوماً وليلة أو أكثر " (٦٤) ، والديمة : مطر يكون مع سكون وقيل المطر الذي لا
رعد فيه ولا برق وتدوم يومها والجمع ديم (٦٥) ، وقد وردت لفظة (ديمة) في الشعر العربي ومنه قول أبي
تمام يمدح مالك بن طوق :

فما الربيع على أنس البلاد به اشدَّ خضرة عود منه في القَحَم
ولا أرى ديمة أمحى لمسبغةٍ منه على أن ذكراً طار للديم (٦٦)
وقال البحتري راثياً:
عم البكاء عليها والمصاب بها كما يعم سحاب الديمة الهطل (٦٧)
وقال ابن الرومي :

وسط رياض دنا الربيع له فحاك أبرادها ونشرها
وجادها من سحابة ديم ورد أنوارها وعصفرها (٦٨)

١٥ - الجَوْدُ :

هو " المطر الذي لا مطر فوقه البتة ، وهو المطر الواسع الغزير " (٦٩) ، وقيل هو المطر الكثير
الذي يروي كل شيء (٧٠) ومنه قول أبي تمام :
فمن مبلغ عني ربيعة أنه تقشع كل الجود منها ووابله (٧١)
وقال البحتري :

يا دار جاد رباك جود مُسبِلٍ وغدت تسح عليك غاديتان (٧٢)

١٦ - الوَسْمِيُّ :

هو مطر أول الربيع ويأتي بعد الخريف ؛ لأنه يسم الأرض بالنبات (٧٣) ، وقال الثعالبي عن ابن
قتيبة " المطر الأول الوسمي ثم الذي يليه الولي " (٧٤) ، قال البحتري يمدح بني ناجية :
فكأنما قطر السحاب على الثرى عطراً فأذكاه ذكاء بيان

وزكت معالم دير زكى بعد أن وسمت يد الوسمي كل مكان (٧٥)

وقال الصنبري:

سقى باكر الوسمي رسم منازل تتكر من البعد الجميع جميعها (٧٦)

١٧ - الولي :

هو المطر الذي يجيء بعد الوسمي ، سمي بذلك يلي الوسمي (٧٧) قال أبو تمام يمدح يحيى بن عبد

الله :

نبت على خلائق من بيض كما ينبت الحلي على الولي (٧٨)

قال البحتري مادحا:

قد تمادى الولي في هطلانه وأتانا الوسمي في أبانه (٧٩)

١٨ - الوكف :

هو " المطر المنهل ، وقيل الوكف المصدر ، والوكيف القطر نفسه " (٨٠) ، قال البحتري :

إما تريني قد صحوت من الصبا ومشيت في سنن المبلّ المفرق

وذكرت ما أخذ المشيب فأرسلت عينايا واكف ديمة مغزورق (٨١)

وقال ابن الرومي :

وقفار لا أنس فيها خلاء تحسر العين مثل ظهر المجن

فدفد مقشعرة النبت قاع غير معهودة بواكف مزن (٨٢)

السحاب ومفرداته :

يُراد به : (السحب والجر) إذ يقال : " سحبت الشيء اسحبه سحب إذا جرته " (٨٣) وإن " السين والحاء والياء أصل يدل على جر شيء مبسوط ومدّه ... وسمي السحاب سحاباً ؛ كأنه ينسحب في الهواء انسحاباً " (٨٤) . فأشتق السحاب من (السحب) .

والسحاب أسم جنس جمعي واحده سحابة يذكر ويؤنث ويفرد ويجمع ، وسحب بضمين يجوز أن يكون جمعاً للسحاب (٨٥) ، نقل الفلقشندي عن بعض العلماء التعريف العلمي للسحاب ، إذ قال : " انه بخار متصاعد من الأرض مرتفع من الطبقة الحارة إلى الطبقة الباردة فيتقل ويتكاثف وينعقد فيصير سحاباً " (٨٦) .

والسحاب من الألفاظ التي أختلف في أفرادها وجمعها ، فجاء عن الدكتور إبراهيم السامرائي قوله : " السحاب في العربية يُراعى فيه اللفظ في الغالب أي : أنه مفرد كالماء والهواء ، وإن كان في الحقيقة شيئاً لا يتبين منه الأفراد من الجمع ، وهو شيء كثير كالغمام والماء والهواء ... " (٨٧) .

وقد ذكر القرآن السحاب وبعض أنواعه مخبراً عن قدرة الله وفضله على عباده ، مذكراً بما فيها من عبر لذوي الفطرة السليمة والعقول الباهرة ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَدِّ مَيْتٍ ﴾ (٨٨) ، وقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ (٨٩) . ذكر المفسرون أن المراد بقوله تعالى : (ثقال) في صفة السحاب ثقال بماء المطر (٩٠) .

وقد وظف البحري السحاب واصفاً دمشق في قصيدته التي مدح فيها المتوكل قائلاً :

أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفى لك مطريها بما وعدا
يمسي السحاب على أجبالها فرقاً ويصبح النبات في صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفاً خضلاً أو يانعاً خضراً أو طائراً غردا (٩١)

أما الصنوبري وصفية بينه وبين السحاب قائلاً:

لي بكاء وللسحاب بكاء فدموعي هوى وذاك هواء (٩٢)

ومن مفردات السحاب التي استعملها الشعراء في العصر العباسي :

١ - الغمام :

" الغين والميم أصل واحد يدل على تغطية وإطباق " (٩٣) ، وهو يدل على كثرة انصباب المطر ، وبعض المعجمات اللغوية جعل الغمام مرادفاً للسحاب (٩٤) ، إلا أن بعض اللغويين " جعل السحاب شيئاً ، والغمام شيئاً آخر " (٩٥) ، ويقال غم علينا الهلال - إذا غطاه الغيم وحال دون رؤيته غيم رقيق - فكل شيء ، غطيته فقد غمته (٩٦) .

وقد وردت لفظة (الغمام) في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَى ﴾ (٩٧) ، أي " سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم بظلمهم من الشمس ، وينزل بالليل عمود من نار يسرون في ضوءه " (٩٨) .

واستعمل شعراء العصر لفظة (الغمام) في أغراضهم الشعرية، كقول أبي تمام مادحاً:

إذا نزلوا بمحل روضه بآثار كآثار الغيوم (٩٩)

وقد وظف الصنوبري (الغمام) في رثاء ابنته ليلي التي خصها بقصائد ومقطوعات يبث فيها آلامه

ويندب حظها ، وهي الفتاة الناضجة ، التي سرقها منه الدهر دون أن يرحمه قائلاً :

أقول وقد وقفت عليك دمعاً طليقاً من يدي قلب أسير

جرى مسكُ الغمام على قبور ممسكة البطون على الظهر

قبورٌ أودعت صوراً عهدنا محاسنها ودائع في القبور (١٠٠)

٢ - السارية : هي السحابة الماطرة ليلاً أو التي تسري ليلاً وجمعها السواري (١٠١) ، وأكثر أقطار

الشتاء يقع ليلاً من السحاب الساري ، و سريت سرى ومسرى وأسريت بمعنى إذا سرت ليلاً (١٠٢) ، وهو

لفظ ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (١٠٣) .

وقد وظف شعراء العصر لفظة (السارية) في أغراضهم الشعرية من ذلك قول أبي تمام مادحاً أبا عبد الله احمد بن أبي داود :

لقد آنست مساوي كل دهر محاسن أحمد بن أبي دُواد
متى تحلل به تحلل جناباً رضيعاً للسواري والغوادي (١٠٤)
قال علي بن الجهم واصفاً سارية في مقدمة قصيدته التي رثا بها المتوكل :
وسارية تترادأ أرضنا تجودها شغلت بها عيناً قليلاً هجودها (١٠٥)
٣ - المزن :

هو " السحاب الأبيض ذو الماء ، مفرده (مزنة) ، ويصغر على مزينة " (١٠٦) ، قال ابن فارس لمادة (مزن) في اللغة ثلاث صيغ : الأولى : السحاب ، والثانية : المازن بيض النمل ، والثالثة : قرن فريته ملأها " (١٠٧) .

وقد وردت لفظة (المزن) في القرآن الكريم بمعنى (السحاب) في قوله تعالى : « أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ » (١٠٨) ، فالمزن هو السحاب الأبيض وماءه أعذب ماء (١٠٩) ومنه قول ابن المعتز يصف (مزنة) :

ومُزْنَةٌ معشلة البارق تبكي على التُّربِ بكا العاشقِ (١١٠)
والصنوبري وظف (المزنة) في رثاء ابنته قائلاً:

يا باب قسرين لا تخل سحائب عون وابكار
من مزنة تهمي ومن مقلة تبكي بدمع من دم جار (١١١)

٤ - العارض :

مادة (عرض) ، تدل في اللغة على " الظهور والبروز " (١١٢) ، أو يقال : " عرضت له الشيء أظهرته له وأبرزته له " (١١٣) ، وهو المطل الذي يعترض في الأفق وقد سمعت العرب عارضاً وعريضاً ومعرضاً ومعترضاً (١١٤) ، والعارض : " السحابة تراها في ناحية من السماء ، ويمتاز بكونه ابيض اللون " (١١٥) ، ومنه قوله تعالى : « فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ » (١١٦) . فالعارض : " السحاب الذي يعترض في أفق السماء " (١١٧) .

واستعمل شعراء العصر العباسي لفظة (العارض) في أغراضهم الشعرية كقول البحثري في الوصف :

أما ترى العارضَ المنهلاً دانيه قد طبَّقَ الأرضَ وانحَلَّتْ عزاليه (١١٨)

قال ابن الرومي:

كالعارض التهبت صواعقه وسقى البلاد فلم يدع بقعة^(١١٩)

٥ - الرِّباب :

الرِّباب بالفتح : " السحاب الأبيض وقيل هو السحاب المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب " (١٢٠) ،
" ويقال أريت السحابة بهذه البلدة ، إذا دامت ، وأرضٌ مَرَبٌ : لا يزل بها المطر ؛ ولذلك سمي السحاب
رياباً ... ويكون ابيض ويكون أسود ، الواحدة ربابة " (١٢١) .

ومن أمثله قول البحرني:

فإذا السحاب كان ركاما فسقى بالرياب دار الرياب^(١٢٢)

قال ابن الرومي في ذكرى الشباب :

سقى عهد الشبيبة كل غيث أغر مجلج داني الرِّباب
ليالي لم أقل سقيا لعهد ولم أرغب إلى سقيا سحاب
ولم أتتفس الصعداء لهفأ على عيش تداعى بانقضاب^(١٢٣)

٦ - الغادية :

هي " السحابة التي تنشأ غدوة ، وقيل الغادية السحابة تنشأ فتمطر غدوة ، وجمعها غواد ، وقيل
الغادية سحابة تنشأ صباحاً " (١٢٤) .

وقد وظف الشعراء لفظة (الغادية) في أغراضهم الشعرية ومنهم البحرني كقوله يمدح فيها المتوكل
ويهجو دمشق :

فلا سقيت غيثاً دمشق ولا غدت عليها غواذي مُزنة لعهادها
وقد سرني إن الخليفة جعفرأ غدا زاهداً في أهلها وبلادها^(١٢٥)

قال الصنوبري:

يا سروتي حمران جا دكما الغواذي والسواري^(١٢٦)

٧ - رائحة :

وهي السحائب التي تمطر النهار بأسره وتروح عشياً وجمعها الروائح (١٢٧) ، ومن ذلك قول البحرني:

إن بين الكئيب فالجزع فالأ رام ربعا لآل هند محيلاً
أبلت الريح والروائح والأيد ام منه معالماً أو ظللاً^(١٢٨)

قال ابن المعتز:

يا دار دار اطراي وأشجاني ابلى جديد مغانيك الجد يدان
جادتك رائحة في أثر غادية تروي ثرى منك أمسى غيرريان^(١٢٩)

٨ - الرُّكام :

الرُّكْم هو " جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله رُكاماً مركوماً كركام الرمل والسحاب ونحو ذلك من الشيء المتركم بعضه على بعض ، والركم السحاب المتركم " (١٣٠) . وان " الراء والكاف والميم أصل واحد يدل على تجمع الشيء ، تقول ركمت الشيء ألقيت بعضه على بعض ، وسحاب مرتكم وركام " (١٣١) ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ (١٣٢) ، وقال البحتري في قصيدته التي مدح فيها المتوكل :

قد قلت للغيم الركام ولج في إبراقه ، وألح في إرعاده
لا تعرض لجعفر متشبهاً بندى يديه فلست من أنداده (١٣٣)

ومنه قول ابن المعتز :

في ركام ضاق بالماء ذرعا حيثما مالت به الريح ساحا (١٣٤)

٩ - الدُّجُنُ :

هو " ظل الغيم في اليوم المطير " (١٣٥) ، والدُّجُنَةُ من الغيم المطبَّق الرِّيان المظلم (١٣٦) ، وقد وظفها أبو تمام في مقدمة قصيدته التي مدح محمد بن حسان الضبي :

ومعرس للغيث تخفق بينه رايات كل دُجنة وطفاء (١٣٧)

قال البحتري في مقدمة قصيدة مدح بها إسحاق بن إسماعيل :

تأبى المنازل أن تجب من جويِّ يوم الديار دعوة غير مجيب
هل تبلغنهم السلام دُجنة وطفاء سارية بريح جنوب ؟ (١٣٨)

وقال ابن الرومي :

وقد يخفى ضياء الشمس دُجن نزول ولم يحن منها غروب (١٣٩)

١٠ - وطفاء :

هي السحابة التي فيها استرخاء لكثرة مائها ، أو هي الدائمة السح الحثيثة ، طال مطرها أم قصر وفيها وطف ، أي تदلت ذبولها ، وجمعها وطف (١٤٠) :

قال أبو تمام يمدح محمد بن عبد المطلب الزيات :

وكأنما استسقى لهن محمد فرسومهن من الحيا في زخرف
سأل السماك فجادها بحيائه فيه بوبلٍ ذي وميض أوظف (١٤١)

وقال البحتري في مقدمة قصيدة مدح فيها المهدي العباسي :

وفي البلد الأقصى الذي تسكنينه سكون لأحشاء ببعذك كدت
شكرت السحاب الوطف حين تصوبت إليه فادت ماءها حين أدت (١٤٢)

يتضح مما تقدم ان شعراء العصر العباسي فتتوا بمظاهر الطبيعة ،وقد وصفوا المطر اللين والوابل والهطل والكثير والمطر المنقطع والمتصل ومطر كل ساعة من ساعات النهار والليل، وكذلك وصفوا السحاب بأنواعه ووظفوا هذه الألفاظ في شتى أغراضهم كالمديح والثناء والوصف ... فالأمطار والسحب هي مانحة الحياة ورمز للخصب والنماء، فالشاعر يقابل بين غزارة الأمطار وكرم الممدوح، ويطلب من السحب سقيا المربيع والديار، فضلا عن سقيا قبور الأحياء.

هوامش البحث

- (١) ينظر : لسان العرب مادة (مطر) : ٥ / ١٧٨ و تاج العروس مادة (مطر) : ١٣٢/١٤ .
- (٢) ينظر : صبح الأعشى في كتابة الأتسا : ١٨٨/٢ .
- (٣) علم الطقس : ٢٧٨ .
- (٤) سورة الأعراف : ٨٤ .
- (٥) سورة هود : ٨٢ .
- (٦) ديوان أبي تمام : ٢ / ١٩٢ . وينظر : المصدر نفسه : ١ / ٣٦٢ ، و ٤ / ٥١٥ . وديوان البحثري : ١٥/١ ، و ٢ / ٩٩٢ . و ديوان ابن المعتز : ٢ / ١٢٢ ، ١١٣ . وديوان الصنوبري : ٣١ ، ٧٩ ، ٨٠ .
- (٧) ينظر : لسان العرب مادة (غيث) : ١٧٥/٢ .
- (٨) مقاييس اللغة مادة (غيث) : ٤ / ٤٠٣ .
- (٩) ينظر : فقه اللغة وسر العربية : ٤٧٨/٢ .
- (١٠) سورة لقمان : ٣٤ .
- (١١) سورة الشورى : ٢٨ .
- (١٢) ديوان أبي تمام : ٤ / ٨٤ ، ٨٥ .
- (١٣) ديوان البحثري : ٢ / ٩٥٠ .
- (١٤) ديوان ابن الرومي : ٣ / ١١٧٦ .
- (١٥) لسان العرب مادة (قطر) : ٥ / ١٠٥ .
- (١٦) ديوان أبي تمام : ٤ / ٥٧٤ .
- (١٧) ديوان البحثري : ٢ / ٦٣٣ .
- (١٨) ينظر : لسان العرب مادة (شأب) : ١ / ٤٧٩ . والقاموس المحيط مادة (شأب) : ١ / ٨٤ .

- (١٩) ينظر المخصص : ١١٥/٩ .
- (٢٠) نهج البلاغة : ١٦٣ ، ١٦٤ .
- (٢١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٧:١٤ .
- (٢٢) ديوان النابغة الذبياني : ٣٤ .
- (٢٣) ينظر : لسان العرب مادة (طل) : ٤٠٥/١١ .
- (٢٤) القاموس المحيط مادة (طل) : ٧/٤ ، وينظر تاج العروس مادة (طل) : ٣٧٧/٢٩ .
- (٢٥) ينظر : مقاييس اللغة مادة (طل) : ٤٠٦/٣ .
- (٢٦) سورة البقرة : ٢٥٦ .
- (٢٧) ديوان شعر ابن المعتز : ٦٥/٢ .
- (٢٨) ينظر لسان العرب مادة (رذ) : ٤٩٢ / ٣ .
- (٢٩) ينظر فقه اللغة وسر العربية : ٤٧٣ / ٢ .
- (٢٨) ديوان أبي تمام شرح التبريزي : ٤ / ١١٥ .
- (٣١) ديوان ابن الرومي : ٨١٤/٢ .
- (٣٢) ينظر لسان العرب مادة (ندي) : ٣١٥/١٥ .
- (٣٣) المعجم الوسيط مادة (ندا) : ٩١٢/٢ .
- (٣٤) ديوان البحترى : ٢٠٩٠/٤ .
- (٣٥) ديوان ابن الرومي : ١٤٧٧/٤ .
- (٣٦) ينظر لسان العرب مادة (عهد) : ٤٥٠/٩ . والمعجم الوسيط مادة (عهد) : ٦٣٤/٢ .
- (٣٧) ينظر مقاييس اللغة مادة (عهد) : ١٧٠/٤ .
- (٣٨) ديوان أبي تمام : ٣٦٩/١ .
- (٣٩) ديوان البحترى : ٢٠٢/٣ .
- (٤٠) مقاييس اللغة مادة (ودق) : ٩٦/٦ .
- (٤١) سورة النور : ٤٣ .
- (٤٢) ديوان أبي تمام : ٧٨٧٧/٤ .
- (٤٣) ديوان الصنوبري : ٤٣٠ .
- (٤٤) الصحاح تاج اللغة مادة (حيا) : ٢٣٢٤/٦ .
- (٤٥) ينظر مقاييس اللغة : ١٢٢ / .
- (٤٦) ديوان أبي تمام : ١٩٦/٣ .

- (٤٧) ديوان ابن الرومي: ١٥٢٢/٤ .
- (٤٨) لسان العرب مادة (رهم) : ٢٥٧/١٢ .
- (٤٩) ديوان أبي تمام : ١٠١ /٢ .
- (٥٠) ديوان شعر ابن المعتز: ٤٦١/٢ .
- (٥١) ينظر لسان العرب مادة (هطل) : ٦٩٨/١١ . والقاموس المحيط مادة (هطل) : ٦٨/٤ .
- (٥٢) ديوان أبي تمام : ١٣/٣ ، ١٤ .
- (٥٣) ديوان البحتري : ١٨٠٧.١٨٠٦/٣ .
- (٥٤) ينظر لسان العرب مادة (هتن) : ٤٣١/١٣ .
- (٥٥) ديوان أبو تمام : ٤٣٤/٤ .
- (٥٦) ديوان البحتري : ٢١٥٩/٤ .
- (٥٧) ديوان شعر ابن المعتز : ١٩٢/١ .
- (٥٨) ينظر مقاييس اللغة مادة (وبل) : ٨٢/٥ . والقاموس المحيط مادة (وبل) : ٦٢/٤ .
- (٥٩) ينظر المخصص : ١١٤/٩ .
- (٦٠) سورة البقرة : ٢٦٤ .
- (٦١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٥٠/٣ .
- (٦٢) ديوان أبي تمام : ٥٢١/٤ .
- (٦٣) ديوان البحتري : ٦١٩/١ .
- (٦٤) العين مادة (دوم) : ٨٦/٨ .
- (٦٥) ينظر لسان العرب مادة (دوم) : ٢١٩/١٢ .
- (٦٦) ديوان أبي تمام : ١٨٧/٣ .
- (٦٧) ديوان البحتري : ١٨٨٨/٣ .
- (٦٨) ديوان ابن الرومي : ١١٠٢/٣ .
- (٦٩) لسان العرب مادة (جود) : ١٣٧/٣ .
- (٧٠) ينظر فقه اللغة وسر العربية : ٤٧٨/٢ .
- (٧١) ديوان أبي تمام : ١٠٨/٤ .
- (٧٢) ديوان البحتري : ٢٣٧٦/٤ .
- (٧٣) ينظر لسان العرب مادة (وسم) : ٦٣٦/١٢ .
- (٧٤) فقه اللغة وسر العربية : ٤٧٧/٢ .

- (٧٥) ديوان البحري : ٢٣٧٧/٤ .
- (٧٦) ديوان الصنوبري: ٣١٨ .
- (٧٧) ينظر : لسان العرب مادة (ولي) : ٤١٣/١٥ .
- (٧٨) ديوان أبي تمام : ٣٥٧/٣ .
- (٧٩) ديوان البحري : ٢١٦٩/٤ .
- (٨٠) تاج العروس مادة (وكاف) : ٤٨٠/٢٤ .
- (٨١) ديوان البحري : ١٤٨٠/٣ .
- (٨٢) ديوان ابن الرومي : ٢٥٧١/٦ .
- (٨٣) جمهرة اللغة مادة (ل ح س) : ٢٤١/١ .
- (٨٤) مقاييس اللغة مادة (سحب) : ١٤٢/٣ .
- (٨٥) ينظر لسان العرب مادة (سحب) : ٤٦١/١ .
- (٨٦) صبح الأعشى : ١٧٨/٢ .
- (٨٧) من بديع لغة التنزيل : ٩٩ .
- (٨٨) سورة الأعراف : ٥٧ .
- (٨٩) سورة الرعد : ١٢ .
- (٩٠) ينظر : الكشاف : ٣٦٦ .
- (٩١) ديوان البحري : ٧١٠/٢ .
- (٩٢) ديوان شعر ابن المعتز : ٤٤٨/٢ .
- (٩٣) مقاييس اللغة مادة (غم) : ٣٧٧/٤ .
- (٩٤) ينظر : لسان العرب مادة (غيم) : ٤٤٦/١٢ ، وينظر : الصحاح تاج اللغة مادة (غمم) : ١٩٩٨/٥ .
- (٩٥) ينظر : فقه اللغة وسر العربية : ٤٧٠ .
- (٩٦) ينظر : لسان العرب مادة (غم) : ٤٤٢/١٢ .
- (٩٧) سورة البقرة : ٥٧ .
- (٩٨) الكشاف : ٧٨ .
- (٩٩) ديوان ابي تمام : ١٦٤/٣ .
- (١٠٠) ديوان الصنوبري : ١٠٢،١٠١ .
- (١٠١) ينظر : لسان العرب : مادة (سرا) : ٣٨٢/١٤ .

- (١٠٢) ينظر : المصدر نفسه : مادة (سرا) : ٣٨١/١٤.
- (١٠٣) سورة الإسراء : ١.
- (١٠٤) ديوان أبي تمام : ٣٧٤/١.
- (١٠٥) ديوان علي بن الجهم : ٥٦ ، ٥٧.
- (١٠٦) لسان العرب مادة (مُزن) : ٩٦/١٣.
- (١٠٧) مقاييس اللغة مادة (مزن) : ٣١١/٥.
- (١٠٨) سورة الواقعة : ٦٨ . ٦٩.
- (١٠٩) ينظر : الكشف : ١٠٧٩.
- (١١٠) ديوان شعر ابن المعتز : ٥٥٨/٢ .
- (١١١) ديوان الصنوبري : ١٠٠.
- (١١٢) العين مادة (عارض) : ٢٧٢/١.
- (١١٣) الصحاح مادة (عرض) : ١٠٨٥/٣.
- (١١٤) ينظر : المصدر نفسه : ١٠٨٥/٣ .
- (١١٥) لسان العرب مادة (عرض) :
- (١١٦) سورة الأحقاف : ٢٤.
- (١١٧) الكشف : ١٠١٤.
- (١١٨) ديوان البحري : ٢٤٤٤/٤ .
- (١١٩) ديوان ابن الرومي : ١٥٣٤/٤ .
- (١٢٠) لسان العرب مادة (رب) : ٩٧/٥ ، وينظر : تاج العروس ، مادة (رب) : ٤٧١/٢ .
- (١٢١) مقاييس اللغة : مادة (رب) : ٣٨٢/٢ .
- (١٢٢) ديوان البحري : ٨٤/١ .
- (١٢٣) ديوان البحري : ٨٤/١ .
- (١٢٤) لسان العرب مادة (غذا) : ١٨/١٥ .
- (١٢٥) ديوان البحري : ٧١٥/٢ .
- (١٢٦) ديوان الصنوبري : ٥٨ .
- (١٢٧) ينظر لسان العرب مادة (روح) : ٤٦٥/٢ .
- (١٢٨) ديوان البحري : ١٧٦٦/٣ .
- (١٢٩) ديوان شعر ابن المعتز : ١٨٩/١ . ١٩٠ .

- (١٣٠) لسان العرب مادة (ركم) : ٣٠٥/٥ .
(١٣١) مقاييس اللغة مادة (ركم) : ٤٣/٢ .
(١٣٢) سورة الطور : ٤٤ .
(١٣٣) ديوان البحترى : ٧٠٣/٢ .
(١٣٤) ديوان شعر ابن المعتز : ٤٦٠/١ .
(١٣٥) لسان العرب مادة (دجن) .
(١٣٦) ينظر : المخصص : ٩٣/٩ .
(١٣٧) ديوان أبي تمام : ٢٣/١ .
(١٣٨) ديوان البحترى : ٢٤٦/١ .
(١٣٩) ديوان ابن الرومي : ١٨٨/١ .
(١٤٠) ينظر : القاموس المحيط مادة (وظف) : ١٩٨/٣ .
(١٤١) ديوان أبي تمام : ٣٩٥/٢ .
(١٤٢) ديوان البحترى : ٣٧٠/١ .

قائمة المصادر

القرآن الكريم

- ✓ تاج العروس : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥) ، مطبعة حكومة الكويت، د.ط ، ١٩٥٠ م .
✓ جمهرة اللغة : ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١ هـ) ، مطبعة دار المعارف، حيدر آباد الدكن ، ط١ ، ١٣٤٤ هـ .
✓ ديوان ابن الرومي: تحقيق، الدكتور حسين نصار ، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب والوثائق العلمية ، ط٣ ، ٢٠٠٣ م .
✓ ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي : تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف ، ط٣، د.ت .
✓ ديوان البحترى : تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ١٩٦٣ م .
✓ ديوان شعر ابن المعتز : صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، تحقيق :الدكتور يونس السامرائي عالم الكتب ، بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٩٧٠ م .
✓ ديوان الصنوبري : تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف ، بيروت . لبنان، ١٩٧٧ م .

- ✓ ديوان علي بن الجهم : عني بتحقيقه خليل مردم بيك ، لجنة التراث العربي بيروت . لبنان، ط٢ ، د.ت.
- ✓ ديوان النابغة الذبياني: تحقيق وشرح: بطرس بستاني، دار صادر ،ودار بيروت ،١٩٦٠ م.
- ✓ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ابو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، تحقيق: محمد احمدالأمّد وعمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث، بيروت . لبنان، ط١ ، ٢٠٠٢ م.
- ✓ صبح الأعشى في كتابة الإنشا: ابو العباس احمدبن علي القلقشندي(ت ٨٢١هـ) شرحه وعلق عليه محمد حسن شمس الدين ، دار الكتب العلمية ،بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٩٨٧ م.
- ✓ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: اسماعيل بن حماد الجوهري(ت ٨٢١هـ)، تحقيق: احمد بن عبد الغفور، ردار العلم للملايين بيروت . لبنان، ط١ ، ١٩٩٠ م.
- ✓ علم الطقس : احمد حديد وآخرون، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٩ م.
- ✓ العين: ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي(ت ١٧٥هـ) ، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي ، والدكتور ابراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي بيروت . لبنان، ط١ ، ١٩٨٨ م.
- ✓ فقه اللغة وسرالعربية: ابو منصور الثعالبي(ت ٤٥٩هـ) قراءه وقدم له وعلق عليه خالد فهمي ، تحقيق :الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١ ، ١٩٨٨ م.
- ✓ القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي،(ت ٨١٧هـ) نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأمريكية، الهيئة العربية للكتاب ، د.ط، ١٣٠١ هـ.
- ✓ لسان العرب : لابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت .
- ✓ المخصص : ابو الحسن علي بن اسماعيل(ت ٤٥٨هـ)، المطبعة الأمريكية ،بولاق مصر، ط١ ، ١٣١٩ هـ.
- ✓ المعجم الوسيط : قام بتأليفه ،الدكتور إبراهيم انيس وآخرون ، دار الفكر ، ط٢، د.ت .
- ✓ مقاييس اللغة : احمد بن فارس،(ت ٣٩٥هـ) تحقيق وضبط :عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٩٧٩ م.
- ✓ من بديع لغة التنزيل: الدكتور ابراهيم السامرائي ، دارالفرقان للنشر والتوزيع، عمان . الأردن ، ط١، ١٩٨٤ م.
- ✓ منهاج البلاغة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي(ت ١٣٢٤هـ) ، ضبط وتحقيق :علي عاشور، دار إحياء التراث، بيروت . لبنان، د.ط، د.ت.
- ✓ نهج البلاغة :تحقيق صبحي الصالح، مطبعة أنوار الهدى، إيران . قم ، ط٤ ، ١٤٣١ هـ.